مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 15 العدد: 02 السنة 2023 ص 840 - 857

تاريخ الإرسال: 2022/02/04 تاريخ القبول: 2022/03/19
تاريخ النشر: 2023/06/03

التماسك النصّي بين التأصيل البلاغي والنحوي العربي وتنظير المناهج اللسانية المعاصرة

The textual coherence between the Arabic grammatical rhetorical rooting and the theorization of contemporary linguistics

محمد رقاني[1]، إبراهيم سماني[2]
جامعة أدرار (الجزائر)، [1]med.reggani@univ-adrar.edu.dz
جامعة أدرار (الجزائر)، [2] semmani.brahim@univ-adrar.edu.dz

الملخص:

ضبطت اللسانيات النصية المعاصرة مجموعة من الآليات والمظاهر التي تحقق للنص التماسك والتلاحم، تتلاحق أجزاؤه وتتكامل مشكّلةً كتلة محكمةً دالة من القول تتوفّر لها معايير النصّية ومظاهرها، وهذا أمر كان علماء العرب في عصور العربية الزاهية قد شغلوا به واجتهدوا في التنظير له من صميم النصوص العربية المحكَمة، وذلك ما نتمثّله في بعض جهود اللغويين ومنهم ابن جنّي في قضايا الترادف والتقابل والتكرار، وبجانبها جهود البلاغيين خاصّة الجاحظ والجرجاني في نظريّة النظم، ويضاف لذلك جهود النقاد المناطقة العرب في قضية الترتيب والتسلسل المنطقي للأفكار...وغيرها.

كلمات مفتاحية: النص، التماسك النصي، الاتّساق، الانسجام.

Summary:

Contemporary textual linguistics has adjusted a set of mechanisms and aspects that ensure the cohesion and

acidification of the text. The parts of the latter follow and integrate forming a tight block has a sense of speech. It has criteria and appearances of textuality. This is a question that Arab scholars were concerned with and strove to theorize at the heart of Arabic texts in the golden ages of the Arabic language. This is what we find in the efforts of certain linguists on questions of synonymy, opposition and repetition like Ibn-Djénni. In addition to this, the efforts of rhetoricians (Al-Jahiz and Aljarjani in particular) in systems theory. In addition, the efforts of Arab logical critics on the question of logical arrangement and sequencing of ideas etc.

Keywords :the text, consistency of the text, cohesion, consistency.

المؤلف المرسل: محمد رقاني، الإيميل: MED.REGGANI@MAIL.COM

المقدمة:

مع الانتقال في علم اللغة الحديث من لسانيات الجملة التي تُعنى بدراسة الجملة في ذاتها ولذاتها، إلى لسانيات النص والتي انفتحت على دراسة بُنى لغوية أوسع وأكبر إلى النص باعتباره بنية لغوية كبرى تتبني في حقيقتها من عدد من الجمل مجتمعة في كلّية لغوية أو وحدة لغوية أشمل، تتصدّر لسانيات النص لدراستها وتحليلها وتفسيرها في موضوعات وتفاصيل وصفات معدودة، يبرز من بينها موضوع الاتّساق والانسجام من بين تلك الموضوعات ليقف على مدى تحقق الترابط والتماسك بين وحدات النص وجزئياته ومجموعة المتواليات الجمليّة فيه من ناحيتين بارزتين، الناحية اللفظية الشكليّة الخطية، وناحية المعنى والدلالة، وذلك ما تشترك لتحقيقه – كما بيّن علماء النص – مجموعة من الآليات والأدوات النسقيّة والعلاقات الدلالية.

وموضوع التماسك النصّي كان حاضرا بآلياته ومحدّداته في المنجز اللغوي والبلاغي والنقدي العربي في بحوث واجتهادات العلماء العرب في العصور العربية الزاهية، ومن ذلك جهود اللغويين ومنهم ابن جنّي في قضايا الترادف والتقابل والتكرار، وبجانبها جهود البلاغيين خاصّة الجاحظ والجرجاني في نظريّة النظم، ويضاف لذلك جهود النقاد المناطقة العرب في قضية الترتيب والتسلسل المنطقي للأفكار...وغيرها.

سيحاول البحث وصف عدد من الصور اللافتة في هذه الجهود وتلك وتقديرها وتمثّلها، محاولاً مقابلة ما خرجت به النظرية اللسانية النصية في مفهوم الاتساق والانسجام ماثلاً في ما يستعين به من المعايير المعجمية والصوتية والنحوية والدلالية لتمكين النص في التماسك والانسجام بين أجزائه، ومقابلتها بما يشبهها ويوازيها من المحددات التي انتبه لها وأصّلت لها الدراسات العربية التراثية في النحو والبلاغة والنقد من خلال جهود علماء العرب الماثلة في المنجز العربي الزاخر.

1.تأصيل علماء العرب لمفهوم التماسك النصّي وأهميته في بناء النص:

لقد انتبه علماء اللغة والبلاغة العرب في التراث إلى أهمية التماسك بين أجزاء النص لاكتمال بنائه والتحام مكوّناته النصية، وجاءت إشاراتهم تلك مفرّقةً في مواضع بحثية شتّى، وتحت مسمّيات عدّة في البحث البلاغي والنقدي واللغوي والنحوي ، منها:

1.2. السبك والحبك:

من أبرز ما في الدراسات التراثية من المفاهيم الدالة على الاهتمام بالتماسك النصي الثنائية الاصطلاحية (السبك والحبك) لدى بعضهم، وهي أيضا الترجمة اللفظية التي اعتمدها بعض المعاصرين من علماء اللسانيات النصية العرب في مقابل كلمتي (**Cohésion**، **Cohérence**)[1] ، وفي المعجم العربي نجد "سبك الذهب والفضة ونحوه من الذائب (...) ذوّبه وأفرغه في قالب"[2]، أما الحبك فهو

"الشد، واحتبك بإزاره (...) شدّه إلى يديه"[3]، ويظهر جليا كيف أن السبك يكون في القوالب الصرفية والنحوية يجمع أجزاءها ليجعلها سبيكة ؛ أي قطعة واحدة، أما الحبك فللمعاني والأفكار يحبكها بمعنى يحسن نسجها والوصل بين جزئياتها لتلتئم وتلتحم في موضوع كامل.

وقد بيّن الجاحظ في معرض كلامه عن الشعر القيمة النصية للسبك والحبك إذ قد تكون سببا في جودة الشعر وأفضليته، قال: "وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج فيُعلم بذلك أنّه أُفرغ إفراغاً جيّدا وسبك سبكاً واحدا"[4]، إنّه يعتبر الكلام معدناً يفرغ في قوالب ويسبك في سبائك فيجتمع بعضه إلى بعض ويتضام حتى ليصبح قطعة واحدة تمكّن أوّلها من آخرها وجزئها من كلّها في تماسك والتحام للألفاظ والأبنية الصغرى بعضها في بعض مشكلة البناء اللفظي المشكِّل لهيكل النص الخارجي، وقد ذكر الجرجانيّ مثل هذا كذلك حيث قال: "واعلم أنّ مثل واضع الكلام مثل من يأخذ قطعا من الذهب أو الفضة فيذيب بعضها في بعض حتى تصير قطعة واحدة"[5]؛ أي مجتمعة متماسكة في اللفظ والدلالة معا.

ومثل الجاحظ نجد أسامة بن منقذ الذي عرّف السبك تعريفا مباشرا حيث قال: "السبك هو أن تتعلّق كلمات البيت بعضها ببعض من أوله إلى آخره"[6]، وقال: "خير الكلام المحبوك المسبوك الذي يأخذ بعضه برقاب بعض"[7]، وفي هذا الكلام تقرير لما جاء قبله في تعارف علماء النقد والبلاغة على أن السبك يقصد به التماسك المعجمي والنحوي لأجزاء النص، وأنّ الحبك قصدوا به تلاؤم المعاني والدلالات والأفكار الجزئية واجتماعها إلى بعضها لتكوّن مجتمعة المضمون العام للنص.

2.2النظم والتأليف:

جاء في لسان العرب: "النظم: التأليف... ونظمتُ اللؤلؤ أي جمعته في السلك، والتنظيم مثله، ومنه نظمتُ الشعر ونظّمته ، ونظم الأمر على المثل، وكلّ شيء قرنته بآخر، أو ضممت بعضه إلى بعض فقد نظمته"[8]، فالظاهر من خلال الدلالة اللغوية أن النظم يعني جمع الأشياء إلى بعضها وتأليفها على نحو منتظم متلائم في الشكل والجوهر مما ينافي التنافر والتفرق.

وهاذان المفهومان . النظم والتأليف . وردا عند غير واحد من علماء البلاغة والنقد في التراث العربي وهو يحمل عندهم دلالتين مختلفتين النظم بمعنى النوع أو الجنس الأدبي أو النظم بمعنى التأليف والتضام[9] يقول الجاحظ: "ولو أراد أنطق الناس أن يؤلّف من هذا الضرب سورة واحدة طويلة أو قصيرة على نظم القرآن وطبعه وتأليفه ومخرجه لما قدر عليه ولو استعان بجميع قحطان ومعد بن عدنان"[10]، والواضح من كلام الجاحظ أن النظم عنده يحمل معنى النوع والتأليف والتضام معا فقد أشار في القول السابق إلى أن القرآن معجز باعتباره كلام الله الذي يتأبّى عن التصنيف وهو ليس كالمألوف من كلام العرب في الشعر والنثر، كما أعجزهم عن جمع وتأليف كلام يشبهه في النسيج اللفظي فعجزوا.

أمّا الجرجاني وهو من علماء البلاغة البارزين الذين تناولوا مفهوم النظم ولهم فيه تفصيل طويل، والنظم عنده هو ترتيب الكلم وفق المقتضيات النحوية، يقول: "اعلم أن ليس النظم إلّا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نُهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تُخلُّ بشيء منها"[11]، ويقول: "واعلم أنّ ممّا هو أصلٌ في أن يدِقّ النظر ويَغمُض المسلك في توخّي المعاني التي عرفت: أن تتّحدَ أجزاء الكلام ويدخلَ بعضها في بعض، ويشتدَّ ارتباط ثانٍ منها بأوّل، وأن تحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعًا واحدًا، وأن يكون حالك فيها حالَ الباني يضع بيمينه ههنا في حالٍ ما يضع بيساره هناك. نعم، وفي حال ما يُبْصَر مكانٌ ثالثٌ ورابعٌ يضعُهُما بعد الأولين"[12]، وهو في كلامه السابق يبيّن أهمية تماسك أجزاء النص وطريقته، وأنّ هذا باب دقيق في بنية النصوص الأدبية وجودتها، وأن ذلك يتحقق من خلال الالتزام بالقواعد النحوية في رصف الكلمة لأختها وجمعها مع سابقتها واللاحقة لها مع ملاحظة ما يوجبه النحو العربي.

وقد أشار الجرجاني مفصّلاً طريقة نظم الكلام وتأليفه وفق مقتضيات النحو إلى ما يجب مراعاته وتدقيق النظر إليه خاصة في باب الخبر، والشرط والجزاء، والحال، والحروف التي تشترك في معنى وينفرد كل واحد منها بخصوصية، وفي

الجمل ومعرفة مواضع الفصل والوصل، والتنكير والتعريف، والتقديم والتأخير والحذف، والتكرار، والإضمار، والإظهار[13]، وتلك هي أبرز الصور التي ينبغي التنبه لها عند جمع الكلام لبعضه في بُنى صغرى أو كبرى، والتي تشكّل مجتمعة النسيج النصي الكلي يضاف لها قضايا الإسناد والعطف والتبعية والتعلّق النحوي وغيره، وهو في ذلك يشير لأبرز العوامل النحوية المحققة للتماسك والانسجام النصي.

"وأمّا أخطر شيء تكلّم فيه عبد القاهر على الإطلاق فلم يكن النظم ولا البناء ولا الترتيب، وإنّما كان (التعليق) وقد قصد به في زعمه إنشاء العلاقات بين المعاني النحوية بواسطة ما يسمّى بالقرائن اللفظية والحالية"[14]، وقد حاول الأستاذ تمام حسان أن يجمع تلك القرائن التي تمكّن للعلاقات النحوية بين أجزاء الكلام في مخطط توضيحي مفصل جمع فيه أبرز القرائن النحوية مصنفاً إياها بين قرائن مقالية وقرائن حالية تعرف من المقام، وخروج القرائن اللفظية إلى قرائن معنوية مثل قرينة: (الإسناد، التخصيص، النسبة، التبعية، المخالفة)، وقرائن لفظية مثل: (الإعراب، الرتبة، الصيغة، المطابقة، الربط، التضام، الأداة، التنغيم) كما في المخطط التالي[15]:

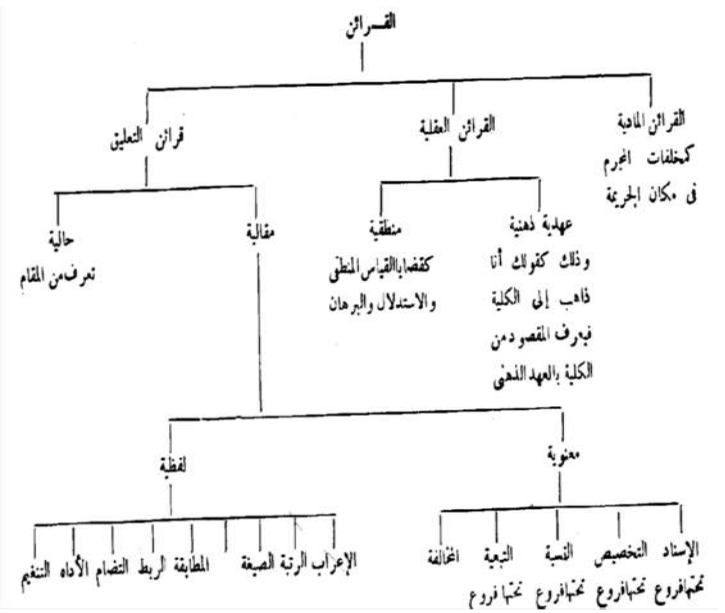

3.2. اصطلاحات أخرى:

وقد أشار البلاغيون والنقاد العرب في التراث إلى قيمة التماسك النصي باصطلاحات و"مفاهيم أخرى ارتبطت بسياقاتها اللغوية في الدلالة على ما يدل عليه الحبك أو على شيء مما يدل عليه: كالاتّصال، والامتزاج، والالتئام، والالتحام، والتلاحم، والاتّساق، والائتلاف، والاقتران، والارتباط، والملاءمة، والمناسبة، والتناسب وغيرها"[16]، يُضاف لها الكلام المفصل المتعلق بآرائهم فيما يخص "معرفة الشروط التي أوجب القدماء توفّرها في كلٍّ من الابتداء والتخلّص والانتهاء، لاسيما ما يتّصل منها بالمعنى ... ومحاولة استخلاص المبادئ الجوهرية التي وجهت علاقة كل من الابتداء والتخلص والانتهاء بسائر أجزاء النص تحقيقا للترابط النصّي فيما يسمّى بالعلاقات المنطقية"[17]، كل هذه الذخيرة المصطلحية تحيل إلى ما اصطلح عليه المعاصرون بالاتّساق والانسجام ترجمة للمفهومين من أصلهما في اللغة الإنجليزية.

يقول ابن طباطبا العلوي: "وينبغي للشاعر أن يتأمّل تأليف شعره، وتنسيق أبياته، ويقف على حسن تجاورها أو قبحه، فيلائم بينها لتنتظم له معانيها، ويتّصل كلامه فيها، ولا يجعل بين ما قد ابتدأ وصفه وبين تمامه فضلاً من حشو ليس من جنس ما هو فيه، فينسى السامع المعنى الذي يسوق القول إليه، كما أنّه يحترز من ذلك في كلّ بيت، فلا يباعد كلمة عن أختها، ولا يحجز بينها وبين تمامها بحشوٍ يشينها، ويتفقّد كلّ مصراع هل يُشاكل الذي قبله ... فلا ينتبه على ذلك إلا من دقّ نظره ولطف فهمه"[18]، في هذا القول الموجز تجد ابن طباطبا استعمل من الاصطلاحات (الملاءمة، التنظيم، الوصل، الإتمام، المجانسة، المشاكلة) ليقرر ما للتماسك من الأهمّية والضرورة في البناء النصيّ، وأنّ مما يضرّ بذلك في النصوص التنافر والحشو.

وهذا حازم القرطاجنّي يبيّن فضيلة التماسك والانسجام في الشعر ويستعمل من هذه الاصطلاحات والمفاهيم ما يبرز به قيمة ذلك، قال: "ومن ذلك حسن التأليف وتلاؤمه، والتلاؤم يقع في الكلام على أنحاء: منها أن تكون حروف الكلام بالنظر إلى ائتلاف بعض حروف الكلمة مع بعضها وائتلاف جملة كلمة مع جملة

كلمة تلاصقها منتظمة في حروف مختارة متباعدة المخارج مرتّبة الترتيب الذي يقع فيه خفّة وتشاكل ما، ومنها ألّا تتفاوت الكلم المؤتلفة في مقدار الاستعمال فتكون الواحدة في نهاية الابتذال والأخرى في نهاية الحوشية وقلّة الاستعمال، ومنها أن تتناسب بعض صفاتها مثل أن تكون إحداهما مشتقّة من الأخرى مع تغاير المعنيين من جهة أو جهات أو تتماثل أوزان الكلم أو تتوازن مقاطعها، ومنها أن تكون كل كلمة قوية الطلب لما يليها من الكلم أليق بها من كل ما يمكن أن يُوضع موضعها"[19]، وقد ذكر (التأليف، التلاؤم، الائتلاف، الترتيب، التشاكل، التناسب، التوازن) يريد التماسك والانسجام الذي أبرز ضرورته النصيّة بدءاً بانسجام الأصوات في الكلمة الواحدة وتلاؤم مخارجها إلى ائتلاف الكلمات المتجاورة في البنية النحوية الواحدة حتى كلّة النص ثمّ تناسب الأوزان وتتوازن المقاطع حتى في جرسها وإيقاعها ووزنها.

أمّا الكلام عن براعة الاستهلال والابتداء وحسن التخلّص والانتهاء فقد أفاض فيه القرطاجنّي تفصيلا طويلاً يبيّن أهمّية هذا الباب في تمكين اللحمة والبناء النصي المنسجم المتماسك، ومما قال في المطالع: "فأمّا ما يجب في المطالع على رأي من يجعلها استهلالات القصائد، فمن ذلك ما يرجع إلى جملة المصراع، وهو أن تكون العبارة فيه حسنة جزلة، وأن يكون المعنى شريفاً تامّاً، وأن تكون الدلالة على المعنى واضحة، وأن تكون الألفاظ الواقعة فيه لاسيما الأولى والواقعة في مقطع المصراع مستحسنة غير كريهة من جهة مسموعها ومفهومها، فإنّ النفس تكون متطلّعة لما يستفتح لها الكلام به، فهي تنبسط لاستقبال الحسن أولاً وتنقبض لاستقبال القبيح أولاً أيضاً"[20]، وممّا قال في المقاطع؛ أي التخلص والانتهاء: "فأمّا ما يجب في المقاطع على ذلك الاعتبار وهي أواخر القصائد فأن يُتحرّى أن يكون ما وقع فيها من الكلام كأحسن ما اندرج في حشو القصيدة، وأن يُتحرّز من قطع الكلام على لفظ كريه أو معنى منفّر للنفس"[21]، وبحسب كلامة فإن من أهمّ ما في النص مداخله ومخارجه، وكلمتا (مسموعها ومفهومها) تشير لضرورة إجادة البداية والنهاية في البناء اللفظي الشكلي والبناء الدلالي المؤسس على المضامين والمعاني، وهما . الاستهلال

والانتهاء . من أبرز ما يترك الأثر في نفس القارئ وذوقه لذلك وجب أن لا يكون فيه ما يثقل على الأذواق أو تنفر منه نفوس المتلقين ليكون النص حسنا مسبوكا محبوكا.

2. أدوات الاتّساق ومظاهر الانسجام في الدراسات المعاصرة:

حدد علماء النص جملة معايير للنصيّة يجب أن تتوفر حتى يسمّى النص نصّا، هي: السّبك(**Cohésion**)، الحبك(**Cohérence**)، القصد(**Intentionnality**)، القبول (**Acceptability**)، المقام (**Situationality**)، الإعلامية (**Informativity**)، التناص (**Intertextuality**)[22] ، غير أن الترجمة العربية من الإنجليزية لبعض هذه المصطلحات وقع فيها تعدد التصورات، خاصّة مصطلحي: (**Cohésion** و**Cohérence**) اللذين ترجمهما تمّام حسّان في الكلام السابق إلى: (السبك، الحبك)، وترجمهما محمّد خطّابي إلى (الاتّساق و الانسجام)[23] ، وكلّها ترجمات دالة على المقصود من خلال كل مفهوم من المفهومين المتجاورين المتشاركين في تجسيد لحمة النص الكلية الجامعة لفظا ودلالة.

1.3. من أدوات الاتّساق:

ويقصد بالاتساق "التماسك الشديد بين الأجزاء المشكّلة لنص/خطاب ما، ويهتمّ فيه بالعناصر (الشكليّة) التي تصل بين العناصر المكوّنة لجزء من خطاب أو خطاب برمّته"[24]،والتماسك الشكلي للجمل يقصد به ترابطها وتلاحمها في لفظها وعلاقاتها النحوية التي تجمع بين أصواتها وكلماتها وجملها وأجزائها، و "تحليل الانسجام يحتاج إلى تحديد نوع الدلالة التي ستمكّننا من ذلك، وهي دلالة نسبية؛ أي أننا لا نؤول الجمل بمعزل عن الجمل والقضايا السابقة عليها "فالعلاقة بين الجمل محدّدة باعتبار التأويلات النسبية"[25] ، بمعنى أنّ دلالة وتأويل معنى الجملة يبقى نسبيّا جزئيا لا يكتمل سوى بتجاور وتكامل دلالات مجموعة المتوالية الجمليّة المشكّلة لكلّية الخطاب أو النص.

وقد عدد الدارسون مجموعة من الأدوات التي تساعد على تحقيق الاتّساق اللفظي الشكلي في النص، منها:

1. الإحالة:

ويقصد بها: "العلاقة بين العبارات والأشياء والأحداث والمواقف في العالم الذي تدل عليه بالعبارات ذات الطابع البدائي في نص ما، إذ تشير إلى شيء ينتمي إلى نفس عالم النص"[26]، والمقصود أدوات يحال بها الدلالة إلى موجود آخر داخل النص، وظاهر الكلام يفهم منه أنه يقصد الإحالة النصيّة؛ إذ تنقسم الإحالة إلى قسمين: إحالة نصية وإحالة مقامية والمقامية يحال بها المعنى إلى شيء خارج النص، كما تنقسم الإحالة إلى: إحالة بعدية، وإحالة قبلية[27]، وإنّما تتحقق إحالة المعنى باعتماد عناصر إحالية لفظية قد تكون: الضمائر، أو أسماء الإشارة، أو الأسماء الموصولة، أو أدوات المقارنة[28]، وهي ،هذه العناصر الإحالية، بإحالتها للمعنى إلى سابق أو إلى لاحق أو إلى موجود خارج إطار النص إنما تصل وتشد هذه الأجزاء إلى بعضها وصلا دلاليا محققاً للتماسك الشكلي بين الأجزاء اللفظية المشكّلة لبنية النص وشكله الخارجي.

2. الاستبدال:

ويذكر هاليداي ورقية حسن أن الاستبدال يكون على ثلاث صور : اسمي، فعلي، قولي[29]، بمعنى "عملية تتم داخل النص، إنّه تعويض عنصر بعنصر آخر، ويُعدّ الاستبدال شأنه في ذلك شأن الإحالة، علاقة اتّساق، إلا أنّه يختلف عنها كونه علاقة تتمّ في المستوى النحوي المعجمي بين كلمات أو عبارات، بينما الإحالة علاقة معنوية تقع في المستوى الدلالي"[30] ويكون باستعمال كلمات من نفس المعنى تحل محل لفظ ذكر سابقا في الغالب، اسما أو فعلا أو جملة أو قولا، تجنّبا لتكراره، وفي هذا الفعل مساهمة في تجسيد التماسك الشكلي بين الألفاظ من خلال العلاقة النصية النحوية المعجمية التي يبنيها الاستبدال.

3. الحذف:

والمراد به حذف شيء من الألفاظ والمكونات اللغوية في متن النص، على ألا يكون من وراء ذلك نقص في المعنى والدلالة، أو خلل في الصورة اللفظية للنص، فلا يكون سوى في العناصر اللغوية السطحية التي يمكن للمتلقي المخاطب

أن يتصوّرها ذهنيّا، فهي غير المؤثّرة في لفظ وتركيب النص أو في مدلولاته الجزئية ومضمونه العام[31]، أي أنّه "علاقة داخل النص، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق، وهذا يعني عادةً أن الحذف علاقة قبلية، والحذف كعلاقة اتّساق لا يختلف عن الاستبدال إلا أن يكون الأوّل استبدالاً بالصفر، أي أنّ علاقة الاستبدال تترك أثراً، وأثرها هو وجود أحد عناصر الاستبدال، بينما علاقة الحذف لا تترك أثراً"[32] وعلى القارئ أن يحسن التأويل في متابعته للترابط الجملي؛ فيقوم بالربط الذهني للجمل السوابق بالجمل اللواحق فيهتدي للإدراك العقلي للمحذوفات اختصارا مهما كانت، كما يهتدي عقليا كذلك للعلاقة النصية النحوية المعجمية التي يجسّدها.

4. الوصل:

والوصل هو آكد الآليات إسهاما في الربط اللفظي بين المتتالية الجملية في النص؛ إذ يقصد إلى "إمكان اجتماع العناصر والصور وتعلّق بعضها ببعض في عالم النص"[33]، ويقسم علماء النص الربط إلى أقسام: ربط يفيد مطلق الجمع (**Conjunction**)، وربط التخيير (**Disjunction**)، وربط الاستدراك (**Contrajunction**)، وربط التفريغ (**Subordination**)[34] ، وكل هذه الأشكال من الربط موجودة في اللغة العربية وغيرها؛ إذ "اللغة العربية لغة الوصل، ففيها من أدوات الربط ما لا نكاد نراه في غيرها"[35]، وهو يشير إلى حروف المعاني خاصة حروف العطف النسقية، التي تؤدي مع الربط معاني كالجمع بين المعطوف والمعطوف عليه، والاستدراك والترتيب والتعقيب والتراخي والتخيير والإضراب والتشبيه...وغيرها من المعاني.

5. الاتّساق المعجمي:

وهو "آخر مظهر من مظاهر اتّساق النص، إلا أنه مختلف عنها جميعا، إذ لا يمكن الحديث في هذا المظهر عن العنصر المفترِض والعنصر المفتَرَض كما هو الأمر في آليات الاتّساق الأخرى"[36]، ويظهر أنه سمّي معجميا لأنه يعتمد مفردات اللغة المعجمية بواسطة اعتماد آلية التكرار أو الترادف أو التضاد، فهو في "نظر

الباحثين إلى نوعين: التكرير (**Reiteration**)، والتضام (**Collocation**)"[37] ، تكرار الكلمة بلفظها أو بمرادفاتها والتي يعقد من خلالها علاقات نصية اتساقية تساهم في بناء النص وتوثيق ترابطه الشكلي وتوحّد لحمته اللفظية.

التكرير الذي هو "إعادة عنصر معجمي أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصرا مطلقا أو اسما عاماً"[38] والتكرار بهذا يكون أداة اتساقية بارزة تساهم في جعل النص يصب في إطارٍ موحد من الناحية المعجمية والصوتية.

أمّا التضامّ فهو "توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرا لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك، مثال ذلك ...(ما لهذا الولد يتلوّى في كلّ وقت وحين؟ البنات لا تتلوّى) فـ (الولد، والبنات) ليسا مترادفين ولا يمكن أن يكون لديهما المحال إليه نفسه، ومع ذلك فإنّ ورودهما في خطاب ما يساهم في النصية"[39]؛ أي في الاتّساق النصي إذا وردتا في جملتين متتابعتين فيكون لهما الفاعلية في تماسك البنية اللفظية لهما خاصة من الناحية المعجمية.

2.3. من مظاهر الانسجام:

يعتبر الانسجام أو الحبك من المعايير السبعة التي ذكرها دي بوجراند ودريسلر والمحققة للنصية بجانب الاتّساق (السبك) الذي سبق الحديث عنه، ويُقصد بالانسجام التماسك الدلالي للنص، أي "العلاقات التي تربط معاني الأقوال في الخطاب، أو معاني الجمل في النص، وهذه الروابط تعتمد على معرفة المتحدّثين والسياق المحيط بهم"[40]، ومحاولة قراءة تلك العلاقات المطوية في مستور الكلام جعلت "الانسجام أعم من الاتّساق، كما أنّه يغدو أعمق منه، بحيث يتطلّب بناء الانسجام من المتلقّي صرف الاهتمام جهة العلاقات الخفيّةالتي تنظم النص وتولده، بمعنى تجاوز رصد المتحقق فعلا (أو غير المتحقق) بمعنى الاتّساق، إلى الكامن بمعنى الانسجام"[41]، فالمعاني الجزئية يجب أن تتلاءم ويجمع بينها علاقات دلالية أو منطقية تمكّنها من التماسك والانسجام المحقق لوحدة البناء النصي الذي تتشارك في تكوينه منظومة من المفاهيم والأفكار والدلالات الفرعية المنضوية تحت موضوع كلّي واحد يمثّل كلّية النص الفكرية.

وقد ضبط علماء النصية المعاصرون مجموعة من المظاهر والمحددات التي تدلّ على انسجام مضامين النص وتماسكها، ومنها:

1.2.3. السياق:

وهو من العناصر الهامة التي تعزّز فهم النص لدى القارئ أو المتلقّي من خلال ربطه بالعناصر البارزة المحيطة به والمساهمة في تشكيله، إذ أنّ " الجمل وأشكال القول يتماسك بعضها مع البعض الآخر دلالياً من خلال المعلومات التي يقدّمها النص، ولكن إذا فقدت الجمل السياق تكون غير متماسكة الأجزاء"[42]، فيُشترط لاكتمال وتمكّن الدلالة والمفهوم الضمني لدي المتلقّي أن يقف كذلك على السياق أو الإطار الخارجي المحيط بالنص أو بالخطاب.

وقد ذكر براون ويول أنّ "محلل الخطاب يجب أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الذي يظهر فيه الخطاب، والسياق لديهما يتشكّل من: المتكلّم/الكاتب، والمستمع/القارئ، والزمان والمكان، لأنّه يؤدّي دوراً فعّالا في تأويل الخطاب، بل كثيرا ما يؤدي ظهور قول واحد في سياقين مختلفين إلى تأويلين مختلفين"[43]، كما حدد هايمز عناصر السياق في: الباث أو المرسِل، المتلقّي أو المرسل إليه، المستمعين، الظرف أو سياق الزمان والمكان، الوضع الجسمي للأطراف المشاركة (تقاسيم الوجه، الإشارات المصاحبة للكلام)، القناة: التي هي طريقة التواصل الطبيعي، الشيفرة المستعملة (اللغة)، صيغة الرسالة، الحدث، الطابع، الغرض[44]، وهذا يدلّ على أن عناصر السياق المحيطة بالنص أو الخطاب تتدخّل بشكل حاسم في صناعة الدلالة لأجل ذلك وجب اعتبارها والانتباه لها في عملية القراءة والتأويل.

2.2.3. التأويل المحلّي:

ويقصد به التدقيق في تأويل بعض العناصر في النص كأسماء الشخوص والزمان والمكان والعلاقات الدلالية والمنطقيه التي قد تجمع بين مفاهيم النص ومضامينه الجزئية، إذ "يرتبط هذا المبدأ بما يُمكن أن يُعتبر تقييداً للطاقة التأويلية لدى المتلقّي باعتماده على خصائص السياق، كما أنّه مبدأ متعلّق أيضا بكيفية تحديد الفترة الزمنية في تأويل مؤشّر زمني مثل (الآن) أو المظاهر الملائمة لشخص

مُحَال إليه بالاسم (محمد) مثلاً، ويقتضي هذا وجود مبادئ في متناول المتلقّي تجعله قادرا على تأويل ملائم ومعقول ...، أحد هذه المبادئ هو التأويل المحلّي الذي يعلم المستمع بأن لا يُنشئ سياقاً أكبر ممّا يحتاجه من أجل الوصول إلى تأويل ما"[45]، أي أنّ هذه الملفوظات تدفع المستمع إلى يؤولها في إطارها وفي حدود الزمان والمكان والمسمّيات المحدّدة المعيّنه في أضيق نطاق ممكن، والتي تشير لها دلالاتها داخل النص مقيّدةً في إطارها المفهومي محدَّدة في سياقها المحيط، وعلى المتلقّي تأويلها بهذا الاعتبار، وبذلك تكون هذه الملفوظات عنصراً محققا للتماسك الدلالي والتعالق المعنوي في كلّ فقرة من فقرات النص، ومن خلاله بين جميع مضامين النص.

وهناك في جملة المبادئ الدالة على التماسك الدلالي لمعاني النص وأفكاره العلاقات الدلالية أو حتّى العلاقات المنطقية التي قد تجمع بينها، والتي توجب على المتلقّي أن يجيد تأويلها نصّيا من خلال القرائن اللغوية الدالة عليها، ذلك أنّ داخل النص "تتداخل مجموعة من العلاقات الدلالية تعمل مجتمعة على حبك مضامين الخطاب وتحقيق التكامل والتناغم بينها"[46]، ومن تلك العلاقات علاقة العام والخاص، وعلاقة الإجمال والتفصيل، والعلاقة السببية (علاقة السبب بالمسبب)[47] ، وغيرها من العلاقات التي تحكم الربط بين الدلالات النصية ولا يخلو نص منها مهما كان نوعه.

3.2.3. التغريض:

ومبدأ التغريض يقصد به البداية في فهم النص من عنوانه أو من الجملة الأولى فيه؛ ذلك أن "الشيء الذي يستهلّ به المتكلّم أو الكاتب حديثه يؤثّر حتما في فهم كل ما يأتي لاحقاً، هكذا يؤثر العنوان في فهم النص الذي يتبعه، كذلك نجد الجملة الأولى في الفقرة الأولى ليس فقط من معنى الفقرة ولكن من معنى بقيّة النص"[48]، "ولمّا كان الخطاب ينتظم على شكل متتاليات من الجمل متدرجة لها بداية ولها نهاية فإنّ هذا التنظيم، يعني الخطية، سيتحكم في تأويل الخطاب، بناءً على أنّ ما يبدأ به المتكلم أو الكاتب سيؤثر في تأويل ما يليه، وهكذا فإنّ عنوانا ما سيؤثر في تأويل النص الذي يليه، كما أنّ الجملة الأولى من الفقرة الأولى لن تفيد فقط

تأويل الفقرة، وإنّما بقية النص أيضا"[49]، وهذا معناه استثمار الانعكاس الكلّي لدلالة النص ومضمونه على مرآة العنوان أو العبارة الافتتاحية، لذلك وجب على الكاتب أن يبدع في صناعة العنوان ويجتهد في صياغته في شكل عبارة جامعة للمضامين والدلالات النصية.

وقد قيل إنّ نسبة "العنوان للكتاب كالاسم للشيء به يُعرف، وبفضله يُتداول، يُشار به إليه، ويدلّ به عليه، يحمل وسم كتابه وفي الوقت نفسه يسمه عنوانه"[50]، هكذا هي العناوين إشارات أولى لمضامين النص، وتلميحات سابقة إلى مدلولات لاحقة، إذن هي مفتاح القراءة وفانوس مشرق يوضح للقارئ معالم القراءة الواعية لا بل الدافع الأول إليها، أو قل هي المبشر الأول بدلالات النص والرسالة التوضيحية الأولى لمضامينه ظاهرة أو خفية، فإذا كان لكل بناء باب ولكل شيء أول ولكل مشروع بداية .. فهي باب النص وأوله وبداية فهمه وإدراك مادته.

4.2.3. التّشابه:

وهذا المبدأ يقوم بشكل كبير على الثقافة القرائية لدى المتلقي، والتي تدفعه للربط بين النص الحالي والنصوص المماثلة له من التي قرأها سابقا، وهذا مما يجعل القارئ قادرا على "الفهم والتأويل بناءً على المعطى النصي الموجود أمامه، ولكن بناءً أيضا على الفهم والتأويل في ضوء التجربة السابقة، أي النظر في الخطاب الحالي في علاقته مع خطابات سابقة تشبهه"[51]، وهذا ما يُمكن أن نسمّية بالتناصية القرائية التي تربط عملية التأويل النصية بالخبرة والتجربة السابقة في قراءة النصوص وفهمها.

خاتمة:

ما يمكن أن تخلص له هذه الدراسة السريعة البرقية هو أن التراث العربي زاخر بالبحوث الموازية لكل مفهوم أو نظرية لسانية خرج بها المعاصرون، غير أن البحوث التراثية تناولتها بشكل مجمل نوعا ما وموزّع في علوم اللغة المتعددة وغيرها: النحو والبلاغة والنقد خاصّةً كلٌّ حسب دائرة اهتمامه، أما النظريات المعاصرة

فتوصف بالتفصيل والتشعب وطرح المفاهيم من أوجه متعددة لغوية معيارية أو وصفية أدبية ونقدية، وهذا ما نجد مثله في نظرية الاتّساق والانسجام.

المراجع والإحالات:

1. ينظر: ترجمة تمام حسان للمصطلحين في كتاب: (روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمّام حسّان، عالم الكتب، القاهرة مصر، ط1، 1998، ص.105
2. ابن منظور، لسان العرب، مادة سبك، 10/ ص440.
3. المصدر نفسه، مادة حبك، 10/ ص407.
4. الجاحظ، البيان والتبيين، 1/ص67.
5. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص412.
6. أسامة بن منقذ، البديع في نقد الشعر، تحقيق أحمد بدوي، حامد عبد المجيد، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دط، دت، ص100.
7. أسامة بن منقذ، المصدر نفسه، ص99.
8. ابن منظور، لسان العرب، مادة (نظم)، 578/12.
9. محمد كريم الكواز، البلاغة والنقد المصطلح والنشأة والتجديد، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت لبنان، ط1، 2006، ص308.
10. عمرو بن بحر الجاحظ، رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت لبنان، ط1، 1991، 229/3.
11. الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص81.
12. الجرجاني، المصدر السابق، ص93.
13. الجرجاني، المصدر نفسه، ص82.
14. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، دط، 1994، ص188.
15. ينظر: تمام حسان، المرجع نفسه، ص190.
16. محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، دط، 2014، ص78.
17. محمد العبد، المرجع نفسه، ص91.

18. محمد ابن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تحقيق: عبّاس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2، 2005، ص129.
19. حازم القرطاجنّي، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، الدار العربية للكتاب، تونس، ط3، 2008، ص198.
20. حازم القرطاجنّي، المصدر نفسه، ص253.
21. حازم القرطاجنّي، المصدر نفسه ص256.
22. روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص105.
23. محمد خطّابي، لسانيات النص، مرجع سابق، ص13 ص27.
24. محمد خطّابي، المرجع نفسه، ص05.
25. المرجع نفسه، ص 34.
26. دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص320.
27. محمد خطّابي، مرجع سابق ، ص17.
28. المرجع نفسه ص16 وما بعدها.
29. نفسه ، ص20.
30. محمد خطابي، لسانيات النص ، ص19.
31. ينظر: دي بوجراند، مصدر سابق، ص301.
32. محمد خطابي، المرجع نفسه ص21.
33. دي بوجراند، المصدر نفسه، ص346.
34. ينظر: المصدر نفسه، ص346.
35. إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة العربية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة مصر، ط6، 1987، ص327.
36. محمد خطّابي، المرجع نفسه، ص24.
37. محمد خطّابي، لسانيات النص، ص24.
38. محمد خطّابي، المرجع نفسه، ص24.
39. محمد خطّابي، المرجع نفسه، ص25.
40. صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ط1، 2000، 1/ ص94.

41. محمد خطّابي، المرجع نفسه، ص5.
42. صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ص102.
43. محمد خطّابي، لسانيات النص، ص24.
44. يُنظر: براون ويول، تحليل الخطاب، ترجمة: محمد الزليطي ومحمد تركي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض، 1997، ص47.
45. محمد خطّابي، المرجع نفسه، ص56.
46. نعمان بوقرة، مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري، عالم الكتب الحديث، عمّان، ط1، 2008، ص90.
47. محمد خطّابي، المرجع نفسه، ص268.
48. براون ويول، تحليل الخطاب، ص155.
49. محمد خطّابي، لسانيات النص، ص59.
50. محمد فكري الجزار، العنوان وسيميوطيقا الاتصال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، دط، 1998، ص15.
51. محمد خطّابي، المرجع نفسه، ص58.